بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن كان هناك من وصف يمكن أن يجمل طبيعـــة العلاقة بين دول شمال البحر المتوسط من جهة وجنوبه وشرقه من جهة أخرى خلال العقود الماضـــية، فهـــو الزخم غير المثمر.

فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ونيـــل الـــدول المتوسطية العربية استقلالها بعـــد حقبـــة اســـتعمارية استمرت عقودا، والعلاقة بين طرفي المتوســـط الأوربي والعربي في تفاعل مستمر أخذ طابع التوتر تارة، لتعود العلاقة وتشهد بعض التطور الإيجابي تارة أخرى، إلا أن هذا التطور لم ينته بالعلاقة إلى تقـــدم يخـــدم مصـــالح الطرفين وينهي بؤر التوتر التي حالت دون أن يتحقـــق أي مستوى من التكامل المرضي أو أن يكون بمستوى التفاهمات والاتفاقات التي أبرمت، تلك التي شـــهدتها العقود الأربع الماضية. ولأن هناك شبه إجماع على عدم انتقال العلاقة إلى مستوى يمكن أن يقال إنه تعاوني فإن أطرافاً، لا تتصور إمكان حدوث أي نوع من التكامل، تؤكد على حتمية التناقض مبررة رأيهـــا بـــاختلاف

الثقافتين الشرقية والغربية. ويرجع مراقبون ومفكرون من دول جنوب وشرق المتوسط صعوبة تحقق التقارب إلى الطبيعة المهيمنة التي تغلب على الرؤى والاستراتيجيات والمشاريع الأوربية.

مفارقة العلاقة الأوربية المتوسطية أنها تتعلق بأطراف تستوجب العوامل التاريخية والجغرافية والاقتصادية والأمنية تمتينها؛ بينما تسهم العوامل ذاتها في توتيرها والحيلولة دون تكاملها. فالجانب المظلم من التاريخ يلقي بظلاله على العلاقة بشكل يمنع من توفر أجواء الثقة حيث تعجز المساعي دون إنهاء آثار الجوانب المظلمة فيه وهي كثيرة، وتفشل الجهود في تفعيل الجوانب المضيئة فيه وهي قليلة. وبقدر ما يعزز القرب الجغرافي تكامل المصالح الاقتصادية، يرى فيه الطرف الأوربي عاملا يسهم في تهديد أمنه وذلك بفعل الهجرة وما أطلق عليه الأوربيون "الإرهاب القادم من الجنوب". ولقد ساهمت التناقضات الدولية بين الدول العظمى زمن الحرب الباردة ثم تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالتأثير على القرار الدولي بعد ذلك في خلق مناخات أثّرت سلبا على استثمار العوامل المساعدة في إحداث تقارب مثمر بين شمال وجنوب المتوسط.

هذا الكتاب يُعنى بدراسة العلاقة الأورومتوسطية منذ إعلان برشلونة عام ١٩٩٥ وحتى التوقيع على اتفاق إطلاق مشروع الاتحاد من أجل المتوسط في ١٤ يوليو ٢٠٠٨، مع الرجوع إلى الفترة التي سبقت إعلان برشلونة لتقصي مسائل تتعلق بأطراف الشراكة حين الحاجة إلى ذلك.

وحاولت في هذا البحث أن أتطرق إلى شرح الظروف الإقليمية والدولية التي أحاطت بالعلاقة الأورومتوسطية خلال الفترة المقترحة في البحث، والعوامل التي ساهمت في بطئها وتعثرها، والمبادرات التي طرحت لمعالجة أوجه القصور الذي شاب الشراكة الأورومتوسطية، مع التركيز على عملية التحول من الشراكة وفق المحاور والمبادئ التي تضمنها إعلان برشلونة إلى الاتحاد من أجل المتوسط الذي طرحه الرئيس الفرنسي ساركوزي وفرض الاتحاد الأوربي بقيادة ألمانيا تحويرات عليه، ومناقشة فرص نجاح الاتحاد وما يستلزمه تنفيذ المشروع من تداعيات على الطرف العربي الشريك.

وينقسم الكتاب إلى مقدمة وخاتمة وخمسة فصول، الأول منها عبارة عن مدخل عام يتضمن حديث عن البعد التاريخي في العلاقة كمبحث أول،

والبعد الاقتصادي كمبحث ثاني. أما الفصل الثاني فيتضمن أربعة مباحث أولها يستعرض العلاقات الأورومتوسطية قبيل عملية برشلونة بشكل عام، ويتناول الثاني منها مقدمات الاتجاه إلى عملية برشلونة، أما الثالث والرابع فيناقشان مداولات مؤتمر برشلونة ومضامين الإعلان الذي انبثق عن المؤتمر. وفي الفصل الثالث تم التركيز على جوانب النجاح وأوجه الإخفاق في عملية برشلونة وذلك في ثلاثة مباحث عرض أولها تقييما للمسار السياسي والأمني وتناول الثاني تقييم المسارالاقتصادي بينما ركز الثالث على تقييم المحور الثقافي. وفي الفصل الرابع تم استعراض السياسات والمبادرات الموازية لعملية برشلونة سواء التي انبثقت عن أطراف الشراكة خصوصا الطرف الأوربي، أو تلك التي شارك فيها أطراف غير متوسطية. وتم إفراد الفصل الخامس لمناقشة مبادرة الاتحاد من أجل المتوسط وذلك من خلال أربعة مباحث يناقش الأول منها إرهاصات إطلاق الاتحاد، ويتناول الثاني القضايا العالقة بين الشركاء المتوسطيين، بينما يبحث الثالث تعاطي الدول العربية المتوسطية مع الاتحاد، ويختتم الفصل بمبحث أولويات الاتحاد من أجل المتوسط.